

الفضل الخامس

طالب الليسانس

- * شبح الطالب المثالي الذي قاده إلى النجاح .
- * حين لعب حارس مرمى .
- * زميله يحبي حق لم يكن يتوسم فيه النجاح .
- * لطف السيد رشحه للسفر في بعثة إلى باريس .

* * *

شبح الطالب المثالي

ترك مسكن الأعمام في شارع سلامة بالسيدة زينب ، وهو طالب في السنة الثالثة بمدرسة الحقوق ، وأقام في منزل صغير بمفرده في حيّ شبرا . وكان يجاوره في هذا المسكن زميله في الحقوق حلمي بهجت بدوي ، وزير التجارة والاقتصاد فيما بعد ، الذي كان مثالا للجدّ والنشاط ، فجعله قدوة له في الإقبال على المذاكرة . يقول عن ذكرياته معه في تلك الفترة ، أثناء المذاكرة لامتحان الليسانس :

- كانت نافذة حجرتي تطلّ على نافذة حجرته . كنت أبصر شبحه من حجرتي وهو مكبّ على كتبه تحت المصباح ، يستذكر المقرر في جلد وإصرار ، وكنت كلما أعياني الجهد ، وأخذتني التعب ولعب النعاس بجفوني ، واصطدم رأسي بالكتاب الذي بين يدي من الإغفاء المبالغ ، وحدثتني نفسي اللعينة بترك كلّ شيء والذهاب إلى الفراش ، لاعتنا الليسانس ومتاعبها ، لاح لي شبح حلمي بهجت بدوي صامداً كالصخر ، مواصلاً العمل والدرس بصلافة وعناد ، فأفريق لنفسي وأعود إلى كتيبي وأكبّ مثله على المذاكرة .

وإذا كنت قد نلت ليسانس الحقوق في ذلك العام الميثوس منه ، فإنه الفضل كان لظله المائل أمامي عن بعد رمزاً للإرادة والإصرار .

نجحت في الليسانس . ولم أصدق إلا بعد أن اطلعت على الصحف ، ووجدت اسمي قبل الاسمين الآخرين . فحمدت الله أن قد وجدت اثنين أسوأ مني وكان فرحي عظيماً ، فحسبي أني نجحت ونلت الليسانس والسلام .

حارس المرمى

ويروى نادرةً طريقةً من ذكرياته مع حلمى بهجت بدوى ، حين أغراه ذات مرة باللعب حارس مرمى فى لعبة الكرة الشراة ، التى كان يمارسها فى أرض فضاء خارج المدرسة ، فيقول :

- كنت أجتاز هذا الفريق المتحمس للكرة الشراة ، عند انصرافى من المدرسة دون أن أتوقف لألقى عليهم نظرة . إلى أن كان ذات عصر ، وجدت حلمى بهجت بدوى ، قد اعترض طريقى وقال لى : تعال قف حارساً للمرمى فى فريقنا ؛ لأنه ينقصنا واحد . فلما اعتذرت بقولى : « إنى لا أعرف هذه اللعبة » قال : إنها من أسهل الأمور ، وما على إلا أن أقف بين حجرين يمثلان المرمى ، وأمنع الكرة من الدخول بينهما .

وقبل أن أجيب كان قد أحاط بى هو وفريقه ووضعونى وضعاً وسط مرماهم ودار اللعب أمامى حامى الوطيس ، وتلاطم موج المتزاحمين من الفريقين ، وجعلوا يتدافعون بالمناكب ويتقاذفون الكرة بالأقدام ، واحتدم اللعب وعلا اللجب واشتد الضغط على المرمى الذى أنا حارسه ، وانتشر التراب فوسخ الثياب وثار الغبار فأعمى الأبصار وملأ الحياشيم ، فتركت المرمى إلى من ينعاها ، ورحت أسبّ مثل هذه اللعبة السخيفة ، وأسخر من لاعبيها ، وما من واحد منهم قد فطن فى زحمة الهجمة والمعمعة إلى أن المرمى خالٍ خاوٍ لا حارس له إلا الله .. على أن عين حلمى بهجت لم تلبث أن لحتنى فاقترب منى وقال :

« أرجوك المسألة جدّ وتهمتنا . ولا يصحّ أن نهزم أمام الفريق الآخر ، وأنت حارس مرمانا » فآثر قوله في نفسه ، ونهضت قائلاً له : « اطمئن لن نهزم أبداً . ولن تدخل الكرة مرمانا أبداً » .

ووقفت فعلاً بين حجرى المرمى ، ولكنى أمام هجمة من الفريق الآخر كنت أزحزح الحجرين بعيداً دون أن يشعروا . وأصبح بذلك مرمانا متنقلاً متحرّكاً لا يمكن أن تصل إليه كرة الخصوم أبداً .

الكبار والصغار

وقد كان من بين زملائه فى مدرسة الحقوق يحيى حقى ، الذى كتب عن ذكرياته معه فى كتاب « خطوات فى النقد » يقول :

— مازلت أذكر السنة النهائية لى فى مدرسة الحقوق ، عام مضى بأكمله ، وليس بينى وبين توفيق الحكيم إلا أقل من نصف متر ، ومع ذلك لا أذكر أنى كلمته أو حييته : شاب نحيل ، أصفر الوجه ، بارز العينين صموت ، على رأسه أقصر طربوش فى الفصل ، ولوقبل لى يومئذ إن جارك هذا سيصبح نجما فى سماء الأدب لا ستخفت بالنبوءة ، ولا ستهزأت بالقائل . وكنت أحكم عليه سرّاً وأقول إنه شاب أبله !

ولا أدرى لماذا كان طربوشه القصير ، دلالة مؤكدة عندى على أنه من أولاد اللوات المدلّعين !

فى الصينية حكمة تقول : « لو كان فى القدر أن تراه لرأيتة ولو كان فى آخر الدنيا ، ولو كان فى القدر ألا تراه ، لما رأيتة وهو أمامك » .

وقد سألت الحكيم عن رأيه في هذا الكلام ، فقال :
- إن يجي حتى رجل قزم ، ونحن الكبار لم نكن نعرف الصغار .

بسبب اللغة الفرنسية

ولم يكن طالب الحقوق متقدماً في الدراسة ، فرسب كعاداته في امتحان النقل من السنة الأولى إلى الثانية ، كما رسب من قبل في تلك السنة في المرحلتين الابتدائية والثانوية .

ويعلل سبب الرسوب في هذه المرة إلى ضعفه في اللغة الفرنسية ، التي كانت لغة المراجع الكبرى في القانون ، ف تلقى دروساً خاصة في مدرسة برليتز للغات الحية خلال فترة الصيف ، أفاد فيها كثيراً من مدرسة فرنسية ، أفهمته أن اللغة لا تستقيم إلا بالقراءة ، فطالع تحت إرشادها « رسائل طاحونتي » لالفونس دوديه ، وبمعاونة قاموس « لاروس الصغير » .

وأحب رسائل كاتب آخر سهل الأسلوب هو أناتول فرانس . ثم قاده تلك اللغة إلى التمكن من البحث في المراجع القانونية الكبرى والمطالعة في عيون المسرح الفرنسي

لطفى السيد والبعثة

وفي عام ١٩٢٤ حين بلغ السادسة والعشرين ، حصل على الليسانس بقدرة قادر ، لأنه كان مشغولاً بالتأليف المسرحي ، ولم يكن يشعر بأى ميل

- للاشتغال بالمحاماة أو النيابة ، لكن والده يادر بقيد اسمه فى جدول المحامين
المشتغلين . واختار له المكتب الذى يزاول فيه عمله كمحام .
ولما رأى والده عدم حماسه لهذا العمل ، صارحه قائلا :
- تعال قل لى . أنت غرضك تشتغل بالتشخيص ؟
فقال له ملطفاً العبارة :
- أنا أحب الأدب . وأريد الاشتغال بالأدب .
فقال بلهجة حزن ونصح وتحذير :
- أنت تريد أن تفعل كما فعل لطفى ؟
- لطفى من ؟
- لطفى السيد ، كان زميلنا فى القضاء ، فجعل يقول الأدب الأدب ،
إلى أن ترك القضاء واشتغل « جورنالجى » ولم تنفعه شغلة الجرائد ، فعاد إلى
الوظيفة وساعده الزملاء القدماء من أمثال صدق باشا وثروت باشا فوضعوه فى
النهاية فى مخزن اسمه « دار الكتب » .
وذلك قبل أن يصبح لطفى السيد رئيسا للجامعة المصرية أو وزيرا .
ثم كان له الفضل فيما بعد بإقناع والده فى سفره إلى أوروبا ، فقد قاده يوماً
إلى صديقه وزميله القديم فى دار الكتب وقال له :
- هذا ابنى توفيق . حصل على ليسانس الحقوق ، وقيد فى جدول المحامين
المشتغلين . لكن ميله متجه إلى الأدب .
فبدا على وجه لطفى السيد الارتياح ، وبادر يؤكد رأياً سبق أن خطر لوالدى
وتردد فيه ، وقال :
- ارسله إلى أوروبا يحضر للدكتوراه ، فإذا عاد بها عين أستاذاً فى الجامعة

التي ترمع الحكومة لإنشاءها وفتحها قريبا ، أو في القضاء المختلط ، حيث الإقامة في مدن كبرى كالقاهرة أو الاسكندرية أو المنصورة ، مما يتيح له إشباع هوايته للأدب فالتفت الوالد نحو ابنه وقال :

- أظن هذا هو الحل .

وأخذ الوالد يعد الترتيبات لإرساله في تلك البعثة بقصد إبعاده عن الحياة الفنية في مصر .

وقد كان على ماهر باشا رئيس وزراء مصر فيما بعد مديرا لمدرسة الحقوق ، وكان من بين زملاء دفعته الدكتور محمد حلمي بهجت بدوى وزير الاقتصاد ومصطفى مرعى وزير العدل ومحمد زكى عبدالمتعال وزير المالية وعبدالكريم الرفاعي محافظ البنك المركزى والدكتور مصطفى القللى عميد كلية الحقوق والأديب يحيى حقي . وكان من بين زملائه أيضا إبراهيم عبدالهادى باشا رئيس وزراء مصر فيما بعد ، لكنه لم يتقدم للامتحان معه في ذلك العام بسبب القبض عليه في قضية سياسية .

* * *